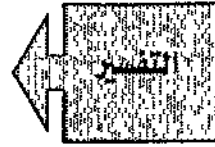


١٧٦٨٥

# المختصر المفيد في تفسير الكتاب المجيد (٢)



٤٧٨

فصلت

١٢- ففضى الله أن يتحول الدخان إلى سبع سموات على مرحلتين زمانيتين، وقدّرت القدرة والحكمة الإلهيتين في كل سماء تركيبها المناسب، وجاء التقدير للسما الدنيا أن تزين بالكواكب والنجوم، وأن تحفظ بقوانين خاصة وكل ذلك يكشف عن تقدير عظيم لمن له العزة والعلم المطلقان.

١٤،١٣- فإن استمر هؤلاء العناد، وأعرضوا عن الحق فليستعدوا لهلاك شبيه بهلاك عاد وثمود، بعد أن جاءتهم الرسل تدعوهم بمختلف السبل إلى الله الواحد ولكنهم ردوا عليهم بأنهم لا يعترفون بهم وأن الله لو شاء لأرسل ملائكة، وأنهم يكفرون إذن برسالاتهم.

فَقَضَىٰ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوَّلَ فِي يَوْمٍ وَسَلَّمَ الْأَرْضَ وَالرَّيْثَ وَالسَّيِّدَاتِ الْأُنثَىٰ بِمَعْبُودَاتِهِمْ وَجَعَلَ اللَّهُ تَقْدِيرَ الْعَزِيمِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ الْمُدَّةُ لَكُمْ مَكِينَةٌ فَتَنْزِلُ سَيِّفَةٌ تَعَارُ وَتُحْمَرُ ﴿١٤﴾ إِنَّهَا تَهْتِكُ الْأُضْغَانِ بِتَنْجِيحِ الْيَوْمِ وَرَبِّتْ سَلْبَهُمْ أَلَمْ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ مَا أَلَّفْنَا بَيْنَ الْيَمِينِ الْيُسْرَىٰ فَتَجْعَلُكَ الْإِنْسَانُ أَكْرَامًا بِمَكْرَمٍ ﴿١٥﴾ تَأْمُرُ عَادَ بِأَنْتَحِرُوا فِي الْأَرْضِ وَتَبْرَأُوا لِي وَتَالُوهُنَّ أَلَمْ تَكُنَّ عَادَ الْأَرْضِ الْأُولَىٰ فَتَعْلَمُكُمْ فَمَا أَتَدْرِكُهُمْ قُوَّةُ رَبِّكَ وَأُولَئِكَ يُجْعَلُونَ كَذَبًا ﴿١٦﴾ فَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَدْعُونَ لِيُؤْتِيَهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَزَنِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأَجْرَةِ أَكْزَىٰ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَأَلْقَيْنَا نَارَ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ ﴿١٨﴾ فَتَلَقَّتْهُمُ مَرْيَمُ مِنَ اللَّيْلِ الْمُرْسَلَةَ مُتَعَارِفًا فَأُوتِيَتْهُمْ مِنْهُمُ الْوَيْسَاءُ لِيُخْبِرْنَ ﴿١٩﴾ فَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا أَنْ يَتَذَكَّرُوا فَيَكْفُرُوا بِسْمِهِمْ وَأَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾

١٥،١٦- وكان أن استكبرت قوم عاد بغير الحق، وراحت تتفخر بقوتها - ناسية أن الله وهو خالقها أقوى منها - ولكنه العناد والمجود لآيات الله، فكان أن ابتليت بريح شديدة السموم فأهلكتها في أيام مشؤومات، وذلك عذاب الحزفي في الدنيا في حين أن عذاب الآخرة أخزى، ولا يملكون من ينصرهم.

١٧- أما ثمود فقد من الله عليهم بالهدى ولكنهم فضّلوا طريق العمى فاستحقوا الهلاك والعذاب المهين نتيجة أعمالهم.

١٨- في حين يحيى المؤمنين المنتقمين من ذلك العذاب.

٢٠،١٩- إن أعداء الله يوم القيامة سوف يجمعون ويساقون إلى جهنم بعد أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم ووجودهم بما كانوا يعملون، فلا يملكون الإنكار.



٣٩- وهذه آية الأرض - بما فيها من عجائب واتقان - تشد القلوب والعقول فليتاملها الإنسان - إنها تبدو ذليلة خاشعة لله تستمد منه الحياة، فينزل عليها رحمته ماء يهزها وينميها ويلبسها خضرة الحياة، الا تعبر هذه الظاهرة حساً عن القدرة الإلهية على إحياء الموتى؟

٤٠- إنها آيات الله الباهرة، فكيف يمكن إنكارها والميل عنها؟ وإن للملحدين يعرضون أنفسهم لعذاب الله بعد ان كانوا مكشوفين له. إنهم يعرضون أنفسهم للنار في حين أنهم كانوا يستطيعون سلوك طريق الأمان عند الحشر بإرادتهم فالأعمال كلها تحت علم الله ويصره.

٤١، ٤٢- لقد جاءهم هذا القرآن ذكراً يعيدهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها، ولكنهم كفروا به ولم يتدبروا في آياته والحدوا

بها، وواضح ما هو مصير الملحدين المعتادين؟ إنه كتاب العزة عزيز في نفسه، ويمتدح العزة للتمسك به، لا تتاله يد الإوهام والتحريف، فهو مصون عنها حالاً ومستقبلاً، ولا يمكن أن ترقى إليه شبهة، لأن الذي نزله هو الحكيم المحمود على الإطلاق.

٤٣- إنه كتاب يعبر عن الحقيقة التي صدح بها الأنبياء جميعاً في مسيرة واحدة، ولذلك فإن تكذيب الملحدين هو بالنسبة لحظ النبوة، فليتنعم أهل الإيمان بالفقران ولينتظر المكذوبون العقاب الأليم.

٤٤- إنه كتاب عربي واضح ولو جاء أعجمياً مبهماً لا عترضوا عليه وطلبوا شرحه وتفصيله واعتراضوا عليه بعدم التناسب بين الخطاب الاعجمي مثلاً والمخاطبين العرب. كل ذلك مراءً وجدلاً كلاً، إنه فيض الهدى والنور والشفاء ولكن لمن جلاوا قلوبهم بالإيمان، أما الذين اختاروا طريق الامماد، وسدوا آذانهم لئلا تستمع للحق فانه لا يزيدهم إلا عمى، وكانهم غائبون عن المشهد فلا يأتيهم التداء إلا من مكان بعيد.

٤٥- تذكر برسالة موسى وتكذيب قومه له وإمهالهم إلى يوم الحساب وهي للكلمة والوعد الإلهي، ولولا الوعد لتم الفصل بينهم والقضاء عليهم بعد أن غمرهم الشك والريب فيه، وفي هذا التذكير تسليية للرسول والمؤمنين وتهديد للمكذبين.

٤٦- إن العمل الصالح يعود بالخير على النفس ويعود العمل السيئ بالشَّرِّ عليها فلا ظلم في النظام الإلهي.

إن هذا التعليم القرآني يوسع من آفاق النفس لتشمل الحياتين وليدفع الإنسان في نفس الوقت الذي يجب فيه ذاته إلى عمل الخير فيحل بذلك التناقض بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية.

٤٧- إن علم الله شامل لكل الحقائق ولا يحفى عليه شيء؛ فإليه وحده يرجع علم الساعة، وهو يعلم بيواطن الأمور وبالثمرات في أكسامها وأوعيتها، وبالأرحام وما تحصل ومتى تضع من حمل، وهذه الحقيقة يجب أن تتجلى في وعي الإنسان وعقله، ولكن الغافلين يشركون بالله غيره من مخلوقاته، وهؤلاء يواجهون يوم القيامة بالسؤال المحير- أين الشركاء؟ فلا يجدون إلا الإعلان عن العجز.

٤٨- لقد انقطعت الحجة، وغابت عنهم الآلهة المذمعة، وأيقنوا أن لا مفر لهم من العذاب.

٤٩- هكذا هي طبيعة الإنسان الذي لا يهتدي بهدي الله إنه لا يمل من طلب الخير النافع له، فإذا مسه الشر غمره اليأس والتفريط فهو بين نهم ويأس.

٥٠- فإذا من الله عليه بالرحمة من بعد حالة عسيرة نسي حاله وغفل عن شكر النعمة بل راح يتصورها ملكه الدائم وينكر الآخرة، بل يتصور لنفسه حظوة خاصة؛ فإذا كانت هناك آخرة فإنه سيعتبر فيها، ولكن الحقيقة الصارخة تواجهه بأن عقابه الكفر هي العذاب الغليظ.

٥١- إنها حالة الضعف النفسي للإنسان فإذا شملته النعمة تكبر وأعرض وطفى، وإذا أصابه الشر راح يتضرع ويستمر في صراخه ودعائه.

٥٢- إن مجرد احتمال صدق القرآن - وهو الصادق الحق - يجب أن يدفع هؤلاء إلى الاحتياط ودفع الضرر المحتمل وهو أعظم الأضرار.

٥٣، ٥٤- وينطلق القرآن بالعقل الانساني ويعدده بالوصول إلى الحقيقة إن هو ثابر على اكتشاف آيات الله في الآفاق وفي النفس نفسها، وحينئذ تتبين له بكل وضوح كل الظواهر المنسقة التي تؤكد وجود الحقائق المنظم الحق الثابت، الذي خلق كل شيء، فالاشياء حاضرة لديه وهو عليها شهيد. لا يخرج أي جزء عن التخطيط والطاعة والنظام، فلا معنى للشك والريب في الله والمعاد إليه بعد ثبوت الاحاطة الإلمية الكاملة بكل الوجود، والهدفية التامة في كل الأشياء.

٤٧- إن علم الله شامل لكل الحقائق ولا يحفى عليه شيء؛

فإليه وحده يرجع علم الساعة، وهو يعلم بيواطن الأمور وبالثمرات في أكسامها وأوعيتها، وبالأرحام وما تحصل ومتى تضع من حمل، وهذه الحقيقة يجب أن تتجلى في وعي الإنسان وعقله، ولكن الغافلين يشركون بالله غيره من مخلوقاته، وهؤلاء يواجهون يوم القيامة بالسؤال المحير- أين الشركاء؟ فلا يجدون إلا الإعلان عن العجز.

٤٨- لقد انقطعت الحجة، وغابت عنهم الآلهة المذمعة، وأيقنوا أن لا مفر لهم من العذاب.

٤٩- هكذا هي طبيعة الإنسان الذي لا يهتدي بهدي الله إنه لا يمل من طلب الخير النافع له، فإذا مسه الشر غمره اليأس والتفريط فهو بين نهم ويأس.

٥٠- فإذا من الله عليه بالرحمة من بعد حالة عسيرة نسي حاله وغفل عن شكر النعمة بل راح يتصورها ملكه الدائم وينكر الآخرة، بل يتصور لنفسه حظوة خاصة؛ فإذا كانت هناك آخرة فإنه سيعتبر فيها، ولكن الحقيقة الصارخة تواجهه بأن عقابه الكفر هي العذاب الغليظ.

٥١- إنها حالة الضعف النفسي للإنسان فإذا شملته النعمة تكبر وأعرض وطفى، وإذا أصابه الشر راح يتضرع ويستمر في صراخه ودعائه.

٥٢- إن مجرد احتمال صدق القرآن - وهو الصادق الحق - يجب أن يدفع هؤلاء إلى الاحتياط ودفع الضرر المحتمل وهو أعظم الأضرار.

٥٣، ٥٤- وينطلق القرآن بالعقل الانساني ويعدده بالوصول إلى الحقيقة إن هو ثابر على اكتشاف آيات الله في الآفاق وفي النفس نفسها، وحينئذ تتبين له بكل وضوح كل الظواهر المنسقة التي تؤكد وجود الحقائق المنظم الحق الثابت، الذي خلق كل شيء، فالاشياء حاضرة لديه وهو عليها شهيد. لا يخرج أي جزء عن التخطيط والطاعة والنظام، فلا معنى للشك والريب في الله والمعاد إليه بعد ثبوت الاحاطة الإلمية الكاملة بكل الوجود، والهدفية التامة في كل الأشياء.



١٦- وبعد ان استجاب العقلاء والمؤمنون فلا معنى لأقوال المشككين في الله فحججهم واهية لا قيمة لها عند الله وهم مشمولون لغضبه وعذابه الشديد. إنهم يجادلون في امر منسجم مع فطرهم التي جبلت على ضرورة وجود المنظم لهذا الكون.

١٧- ان الله يقتضى لطفه انزل القرآن بالحق وجعل تعاليمه معياراً له وسبباً في إيجاد التوازن التشريعي فهو بنفسه دليل على الحق، والحق أحق ان يتبع، وهو ميزان الفوز في الآخرة، وماذا يُدري الرسول قلل الساعة قريب. وكأنه إجابة على سؤال عن الساعة وتوقيتها وقد تكرر ذلك منهم.

١٨- هناك موقفان من الآخرة- موقف المشركين المشككين

وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي هَذِهِ أُمُورًا مَّا تَشْتَرِي بِمَنِّهِمْ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَأَعْلِمْ أَنَّهُ لَأَسْفَرٌ لَهُمْ لَكُمُ اللَّهُمَّ عَذَابُكَ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾  
 ﴿١٧﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿١٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٠﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢١﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٢﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٣﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٤﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٥﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٦﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٧﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٨﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٣٠﴾

المستهزئين المستعجلين، وموقف المؤمنين الخائفين من هولها المتيقنين بها؛ لأنها مقتضى الهدفية في الكون وهو موقف الواعين المنسجمين مع فطرهم. أما موقف التشكيك فهو الضلال البعيد.

١٩- ويبقى اللطف الالهي يلح على الجميع بالعودة إليه. فهو الرزاق وهو القوي العزيز لا يحتاج إلى خلقه وإنما هو اللطف والرحمة الشاملة.

٢٠- ويتمثل هذا اللطف في المن والزيادة على من يريد عطاء الآخرة وهو نتاج العمل الصالح في الدنيا، ويتمثل أيضاً في إعطاء الكافر من عطاء الدنيا أيضاً ولكنه سيفقد النصيب العظيم في الآخرة لأنه لم يشكر المنعم بل طغى وكفر.

٢١- ألا يدرك المشركون أن خط الانبياء يدعو إلى رب واحد وأن الالهة المزعومة لم تقدم لهم شيئاً، فليس التشريع إلا لله ولا يتم إلا بإذنه. إن مزاعمهم هي من اعظم الظلم، ولولا أن حكمة الله اقتضت تأجيل العذاب إلى الآخرة لشم العذاب الاليم هؤلاء الظالمين.

٢٢- انه يوم المول على الظالمين نتيجة عملهم الذي تحول إلى هذه الحالة القاتمة ولكنه يوم النعيم وروضات الجنات للمؤمنين العاملين بالصالحات ينالون فيه ما يشاؤون من نعم في ظل رحمة الله وفضله الكبير.

وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي هَذِهِ أُمُورًا مَّا تَشْتَرِي بِمَنِّهِمْ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَأَعْلِمْ أَنَّهُ لَأَسْفَرٌ لَهُمْ لَكُمُ اللَّهُمَّ عَذَابُكَ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾  
 ﴿١٧﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿١٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٠﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢١﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٢﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٣﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٤﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٥﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٦﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٧﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٨﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٢٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَوْنًا فَجَنَحَ بِعَنْقُرِكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْبَابِ عَدُوًّا ﴿٣٠﴾

٢٣- إنها البشرى الكبرى للمؤمنين العاملين بهدي الرسول وهو(ص) لا يطلب على رسالته أجر إلا ما هو لصالحهم أيضاً وهو محبة أهل البيت(ع) ومودتهم باعتبارها من أفضل الاعمال وتقدمهم إلى المنهج القويم، وهم يشكلون الامتداد الطبيعي للقيادة الصالحة، وهكذا يتجلى اللطف العميم فمن يعمل صالحاً يزيده الله في ثوابها حسناً ويفقر له سيئاته ويشكره بما يناسب عظمته.

٢٤- تشكيك آخر في أقوال الرسول وأنها مجرد افتراء على الله، ولكن العقل يمنع أن تجري المعجزة على يد الكاذب (وهي هنا كتاب الله) فانه قادر على أن يختم على قلب الرسول، ويكشف الافتراء ويعلن الحق وهو عليم بكل شيء. وما تكنه

الصدور. إن هذا الاستدلال يؤكد أحقية كلام الرسول وصدقه في دعوته.

٢٥- فليعد الجميع إلى ربهم وهو تعالى قابل التوب والعافي عن السيئات والعليم بكل الأنفال. وهكذا تشكل التوبة إحدى أكبر مظاهر اللطف وروافد الأمل عند الإنسان.

٢٦- إنه تعالى يستجيب للمؤمنين العاملين دعاءهم ويزيدهم من فضله في حين يلاقي الكافرين مصيرهم من العذاب الشديد.

٢٧- ويأتي الرزق الإلهي مقدراً متدرجاً لئلا يظفروا ويظلموا، وإن الإنسان ليظفسي أن رآه استغنى والله تعالى خبير بصير بعباده.

٢٨- تذكير بلطف آخر من أنطافه. إنه الغيث والمطر الذي تقوم به حياتهم وذلك بعد قنوط وآس. إلا يشعر الإنسان بعظمة هذه الرحمة من الله الذي يتولاه ويرعاه ويفرجه بما يسهل حياته فله الحمد كله.

٢٩- وهذه عجائب السماوات والخلق وما نشر فيها من دواب وحيوانات وكل ذلك يساهم في توفير الطبيعة الملائمة له ولكنها جميعاً في قبضته فإذا شاء جمعها بأمره.

٣٠- إن المصائب كلها من نتائج عمل الإنسان وضعفه ولكن الله رحيم يعفو عن كثير من الأمور.

٣١- إن الإنسان ضعيف عاجز لولا أن يرفده الله بلطفه ولا ولي نصير له من دونه.

